٢٧- بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : {أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ} (الأَعْرَاف: ١٣١).

وَقَوْلِهِ : {قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُوْنَ} (يَس: ١٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ). أَخْرَجَاهُ. زَادَ مُسْلِمٌ: (وَلَا نَوْءَ وَلَا غُوْلَ) (١) .

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ). قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: (الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ). (٢)

وَلِأَبِي دَاوُدَ ــ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ ــ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: (ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (أَحْسَنُهَا الفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ). (٣)

وَعن ابْنِ مَسْعُوْدٍ مَرْفُوْعًا (الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ، وَمَا مِنَّا إِلَّا؛ وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ ، وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ (٤).

وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَمْرٍو (مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ).

قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: (أَنْ تَقُوْلَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ). (٥)

وَلَهُ مِنْ حَدِيْثِ الفَضْلِ بْنِ العَبَّاس رضي الله عنه (إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ). (٦)

فِيْهِ مَسَائِلُ:

---

١) رواه البُخَارِيُّ في صحيحه برقم (٥٧٥٧)، ومُسْلِمٌ برقم (٢٢٢٠).

٢) رواه البُخَارِيُّ في صحيحه برقم (٥٧٧٦)، ومُسْلِمٌ برقم (٢٢٢٤).

٣) رواه أَبُو دَاوُدَ في سننه برقم (٣٩١٩) ، وَالحَدِيْثُ هُوَ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ وَلَيْسَ عَنْ عُقْبَةَ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ السُّنِّيِّ (٢٥٥/ ١) إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: (عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيَّ) بَدَلَ (عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ)

٤) رواه أَبُو دَاوُدَ في سننه برقم (٣٩١٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ برقم(١٥١٤).

٥) رواه أَحْمَدُ في المسند برقم (٧٠٤٥) .

٦) رواه أَحْمَدُ في المسند برقم (١٨٢٤) .

الأُوْلَى: التَّنْبِيْهُ عَلَى قَوْلِهِ {أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ} مَعَ قَوْلِهِ {طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ}.
الثَّانِيَةُ: نَفْيُ العَدْوَى.
الثَّالِثَةُ: نَفْيُ الطِّيَرَةِ.
الرَّابِعَةُ: نَفْيُ الهَامَةِ.
الخَامِسَةُ: نَفْيُ الصَّفَرِ.
السَّادِسَةُ: أَنَّ الفَأْلَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ.
السَّابِعَةُ: تَفْسِيْرُ الفَأْلِ.
الثَّامِنَةُ: أَنَّ الوَاقِعَ فِي القلبِ مِنْ ذَلِكَ مَعَ كَرَاهَتِهِ ؛ لَا يَضُرُّ بَلْ يُذْهِبُهُ التَّوَكُّل.
التَّاسِعَةُ: ذِكْرُ مَا يَقُوْلُ مَنْ وَجَدَهُ.
العَاشِرَةُ: التَّصْرِيْحُ بِأَنَّ الطِّيَرَةَ شِرْكٌ.
الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: تَفْسِيْرُ الطِّيَرَةِ المَذْمُوْمَةِ.

الشرح :
هذا الباب **باب ما جاء في التطير** والأبواب التي بعده والأبواب التي قبله كلها تريد أن ترشدك إلى شيء مهم جدا وهو أنه لا بد للمسلم أن يتخلص من رق الشياطين ورق الأوهام والظنون والخيالات وما لا حقيقة له ، فالأبواب الخمسة الماضية كانت تتكلم في الاسترقاق أو رق الشياطين والجن والسحرة واستغلال هؤلاء لضعف العبد ولحاجته ومرضه ، فيجعلونه عبدا عندهم يسترقّونه ، وكما قال ابن القيم رحمه الله :
هربوا من الرق الذي خلقوا له فبلوا برق النفس والشيطان
(هربوا من الرق الذي خلقوا له) : لأن الإنسان خلق ليكون عبدا للواحد الأحد سبحانه وتعالى ليس عبدا لسواه ، فإذا ترك العبد العبودية له جل وعلا صار عبدا متخبطا فتارة عبدا للنفس ، وتارة عبدا للجن والشياطين وتارة عبدا للأهواء وتارة عبدا للدرهم والدينار، وقس على ذلك .
(فبلوا) : يعني ابتلوا برق النفس والشيطان .
فالمؤلف رحمه الله تعالى أراد أن يبين أن الشريعة جاءت لتخرج العبد من هذا الرق، فأتى بهذا الباب **باب ما جاء في التطير**، وهو يربط الإنسان بمسألة موقف المسلم من الأسباب التي جاءت في أول أبواب الكتاب كباب **من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه** ، وباب **ما جاء في الرقى**

والتمائم، وأن هناك أناسا يأخذون بأسباب لا حقيقة لها ، أسباب موهومة ، كالذي يلبس خيطا في رقبته أو يلبس خيطا فيه خرزة زرقاء أو يلبس في يده أسورة ، أو يضع حجابا أو يضع حدوة على الباب أو في السيارة ونحو ذلك ، فهذا تعلق بأسباب موهومة لا فائدة منها ولا حقيقة لها في الواقع ، ومن ذلك أيضا التطير ، ومنه التعلق بالطيور ونحوها لتأخذ منها السعادة أو التعاسة أو كما يقال النحس أو السعادة ، فهذا تعلق بأشياء لا حقيقة لها ، أو تعلق بشكل شخص معين كلما دخل على الإنسان قال وجه نحس ، هذا تعلق بشيء موهوم وفيه عيب للصانع أو الخالق سبحانه وتعالى لا عيب الصنعة ! فهذا سبب موهوم لا حقيقة له.

فينبغي على الإنسان أولا أن يتخلص من الأسباب الموهومة والتي لا فائدة منها ولا حقيقة لها .

ثانيا: عليه أن لا يعتمد على السبب ـ إذا كان هناك سبب حقيقي ـ بل عليه أن يسعى في الأخذ بالأسباب لكنه يعلم أن مسبب الأسباب هو الله جل وعلا فإن شاء رتب على هذا السبب النتائج والتي نسميها المسببات وإن شاء الله جل وعلا منعه ، فقد يوجد مانع يمنع هذه النتيجة من مرض أو حادث فلا تتحقق تلك النتيجة .

وبعد ذلك ينبغي علي الإنسان أن يعرف أن هذا كله من القدر ، لذلك الشيخ حافظ حكمي رحمه الله تعالى في سلم الوصول جعل هذه المسائل في أبواب القدر، ولم يضعها بعد توحيد العبادة يعني في الشرك كما وضع غيرها لكن وضعها في أبواب القدر لينبه على أن الإنسان لن يعدو القدر وأن هذه الأمور ـ يعني اعتقاد العدوى والتطيروغير ذلك ـ مضادة لما يجب أن يعتقده المسلم في القدر، وأنه ينبغي للإنسان أن يتوكل على الله جل وعلا وأن يحسن الظن بربه ويعرف أنه لن يعدو القدر وأن يدع النتائج على مسبب الأسباب سبحانه وتعالى .

وبهذا يحفظ الإنسان عقله وقلبه ، فالإسلام جاء ليحرر العقول من هذه الخرافات ومن هذه الأباطيل ومدح أولي الألباب ومدح الذين يتفكرون ومدح في غير ما آية أصحاب العقول ، أما صاحب الأوهام والظنون الفاسدة الذي يذهب كل يوم مذهبا ، فيوم يتشاءم ويوم يضيق صدره كمدا وحزنا لأنه وجد اسمه في برج من الأبراج ويوم رأى من يتشاءم به ويوم رأى طيرا يذهب يسارا فستخسر مصالحه وأعماله وتجارته ، فهذا لن ينجح في حياته بل

سيكون وبالا على مجتمعه ، والمجتمع إذا استسلم لهذه الأوهام والخيالات سيكون مجتمعا متخلفا في كل مناحي الحياة ، والعكس بالعكس فإذا أخذ بالعقيدة الصحيحة السليمة والتوحيد الخالص وحسن التوكل على الله جل وعلا وأخذ بالأسباب ولم يلتفت إلى هذه الخيالات سبق غيره وتقدم وحصَّل خيري الدنيا والآخرة ، وإذا حصل العكس فقد خسر خيري الدنيا والآخرة فتجده في أمور الدين والعبادة كسولا كئيبا حزينا لا يتحرك لما في قلبه من الخوف والأوهام ، فيخاف من الجن والشياطين والطيور، ومتشائم كلما ذهب إلى مكان ، هذا في أمور الدين وفي أمور الدنيا تجده كذلك يبوء بالخسارة وعدم الفوز .

قوله : «باب ما جاء في التطير» يعني ما جاء في النهي عن التطير ومن الوعيد على من تطير، **والتطير:** مصدر تطير يتطيَّر تطيُّرا ، وهو التشاؤم بمرئي أو بمسموع أو بزمان أو بمكان ، التشاؤم بمرئي كأن يرى بعينه شخصا معينا فيتشاءم به ، أو طائرا يطير جهة الشمال فيتشاءم بهذا الطيران ولا يقضي حاجته أو لا يذهب لعمله ، أو بمسموع : كأن يسمع صوتا من الأصوات فيتشاءم بهذا السماع ، أو كما يسمع الناس صوت الغراب فيتشاءمون بصوته ، فإذا خرج من الصباح إلى العمل وسمع صوت البومة أو الغراب يتشاءم ، وقد يرجع وقد يمضي الشخص ، فهو بين اختيارين إما أن يرجع بسبب هذا الصوت الذي سمعه أو يذهب إلى عمله مع وجود الخوف والهلع مما سمع ، أو يتشاءم بمكان معين ، كبيت احترق أو احترقت فيه سيارة أو متاع فيتشاءم من أن يمشي بجانب هذا المكان ، ويخاف أن يقع عليه مثل ما وقع على فلان أو فلان ، أو يتشاءم بزمان معين : كأن يتشاءم بشهر من الشهور أو يوم من الأيام كما كانت العرب تتشاءم بشهر شوال ، فكانوا لا يتزوجون في شوال ولا ينكحون في شوال ، فأبطل الإسلام ذلك ، وعائشة رضي الله عنها عقد عليها في شوال ودخل بها النبي صلى الله عليه وسلم في شوال حتى تبطل عادات الجاهلية ، وكانوا أيضا يتشاءمون بشهر صفر، ومن تشاؤمهم به أنهم كانوا أحيانا يؤخرونه أو يقدمونه كما قال تعالى ﴿**إنما النسيء زيادة في الكفر**﴾ فكانوا يجعلون محرم مكان صفر، لأنهم يعرفون أنه يحرم فيه القتال ، فكانوا يأتون بصفر مكانه ويؤخرون محرم ، فيجعلونه الشهر الثاني.

والطيرة كما قال ابن الأثير في النهاية : **بِكَسْرِ الطَّاءِ وَفَتْحِ الْيَاءِ، وَقَدْ تُسَكّن: هِيَ التَّشَاؤُمُ بِالشَّيْءِ. وَهُوَ مَصْدَرُ تَطَيَّرَ. يُقَالُ: تَطَيَّرَ طِيَرَةً، وتَخَير خِيَرَةً، ولم يجيء مِنَ الْمَصَادِرِ هَكَذَا غَيْرُهُمَا. وأصلُه فِيمَا يُقال: التَّطَيُّر بالسَّوَانِح والبَوارِح مِنَ الطَّيْر وَالظِّبَاءِ وغَيرهما. وَكَانَ ذَلِكَ يَصُدّهم عَنْ مَقَاصِدِهِمْ، فَنَفَاهُ الشَّرْعُ، وأبطله ونهى عنه، وأخبره أَنَّه لَيْسَ لَهُ تأثِيرٌ فِي جَلْب نَفْعٍ أَوْ دَفع ضرّ** (١). اهـ

والتطير ينقسم إلى قسمين : قسم من الشرك الأكبر، وهو ينافي أصل التوحيد ، وقسم من الشرك الأصغر، وهو ينافي كمال التوحيد الواجب ، وأكثر أهل العلم يتكلمون على القسم الثاني فقط ، الذي هو الشرك الأصغر، لأن هذا أكثر ما يقع في حياة الناس ، فيعتقد أنه سبب للنحس أو للشقاء وهو ليس بسبب ، **والقاعدة في الشرك الأصغر:** أن كل من اتخذ سببا لم يجعله الشارع سببا أو ليس بسبب في القدر ولا في الشرع فهو من الشرك الأصغر. كالذي يعلق عينا زرقاء في رقبته لرد الحسد والعين ، فهل هذا الفعل أمر به الشارع ؟ أوهل يرد في الواقع ؟

الجواب : لا ، فإذا لم يأمر به الشارع ولم يجعله الله جل وعلا سببا كونيا لرد العين أو رد الشر أو رد الحسد ، فهذا من الشرك الأصغر، فكل سبب لم يجعله الشارع سببا ولم يجعله الله جل وعلا سببا كونيا فاتخاذه من الشرك الأصغر، ومن ذلك التطير والتشاؤم ، فهل الشارع قال بأن رؤية البومة أو سماع نعيق الغراب أو طيران الطائر شمالا أو للخلف من أسباب الفشل؟

الجواب : أيضا لا ، فتدخل في الشرك الأصغر من هذا الوجه .

أما إذا اعتقد الإنسان أن هذا الشيء المتطير به إذا تشاءم به على أنه يأتي بالشر أو بالضرر أو بالسعادة أو بالنحوس بنفسه ؛ **فهذا من الشرك الأكبر** وهذا قليل في حياة الناس ، يعني يتصور أن نفس الطير أو نفس البومة أو الغراب هو الذي يأتي بالشر، وهذا قليل ، لكن أكثر الناس يعتقدون أنه سبب من الأسباب فإذا رأى الغراب أو سمع صوت الغراب أو البومة أو نحو ذلك فهذا دلالة على الشر أو سبب في نزول الشر أو سبب للنحوس ، لذلك كثير من أهل العلم اقتصر عليه ، وعندما يعبر عن الطيرة يقول بأنها من الشرك يعني من الشرك الأصغر، كما أطلقتها الأحاديث.

لماذا كان التطير من الشرك؟

---

(١) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٥٢) .

الجواب : أولا : لأن فيه منافاة للتوكل وحسن الظن بالله جل وعلا ، والمسلم عليه دائما أن يحسن الظن بربه حتى تخرج الروح من جسده ، عليه دائما أن يكون حسن الظن بربه مهما حصل له من المصائب والفتن ومهما حصل له من الابتلاء ، فإن الله جل وعلا عند ظن عبده المؤمن به ، فإذا أحسنت الظن بربك جل وعلا وتعرفت عليه بحسن الظن فإنه يعرفك في الشدة ، ويعرفك قبل ذاك في الرخاء ، ولا يخزيك سبحانه وتعالى ، وسوء الظن من أعمال الجاهلية كما قال تعالى : **﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية﴾** فظن أهل الجاهلية ظن السوء والعياذ بالله تعالى وستأتي في باب مستقل.

ثانيا : لأن فيه اعتقاد نفع أو ضر لسبب لم يجعله الله سببا ، كالطيور أو الأماكن أو الأزمنة على ما سبق .

الدليل الأول :

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : {أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ} (الأَعْرَاف: ١٣١).

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى الدليل الأول على تحريم التطير وأنه من الشرك .

وهذه الآية في سورة الأعراف يذكر ما قاله ورد به آل فرعون لما جاءهم موسى عليه السلام يدعوهم ﴿ **فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ** ﴾ يعني فرعون ومن معه لما جاءهم موسى عليه السلام بدأوا يتطيرون به وبدعوته ، فإذا جاءتهم الحسنة من رخاء ومطر وزرع **(قَالُوا لَنَا هَذِهِ)** ونحن جديرون بهذا ونحن أحق بهذا الخير ﴿ **وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ**﴾ من جدب أو قحط **(يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَه)** قالوا أنتم الشؤم وأنتم سبب ما جاءنا من القحط ومن الجفاف ومن الجدب ، فرد الله عليهم بقوله : ﴿ **أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ**﴾ **(ألا)** للاستفتاح ، استفتاح الكلام ، وتفيد هنا التنبيه ، إذا جاء بعدها جملة اسمية ، **(ألا إنما)** وإنما تفيد الحصر.

قال ابن عباس في تفسير قوله : ﴿**طَائِرُهُمْ**﴾ {ما قُضِيَ عليهم وقُدِّرَ لهم } يعني ما قضي عليهم وما قدر لهم عند الله سبحانه وتعالى ، أي بسبب كفرهم وتكذيبهم فالذي أصابهم من القحط والبلاء والجدب أولاً مقدر عليهم ، ثانيا: بسببهم وبسبب كفرهم وتكذيبهم ، فهذا قدر عليهم بحكم الله جل وعلا القدري الكوني لما كفروا وكذبوا الرسل ، ﴿**طَائِرُهُمْ**﴾ مبتدأ ، ﴿**عِنْدَ اللَّهِ**﴾ خبر ،

(**طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ**) جملة خبرية ، ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ لأنهم جهال ، ولو كانوا يعلمون لعلموا أن موسى عليه السلام جاء بالخير والفلاح والبركة وجاء بما فيه السعادة في الدنيا والآخرة ، ولجهلهم بأن الله مقدر المقادير وأن كل شيء بيده سبحانه وتعالى .

الدليل الثاني :

وَقَوْلِهِ : {قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُوْنَ} (يَس:١٩).

وهذه الآية من سورة يس ، لما ذكر الله جل وعلا هذه القرية وأنه أرسل لها المرسلين ﴿**قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ**﴾ فردوا على المرسلين بهذا : أي نحن تشاءمنا بكم ﴿ **لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ**﴾ أي إن لم تنتهوا عن دعوتنا إلى التوحيد ودعوتنا إلى ما فيه الفلاح ، وهكذا دائما الدعاة إلى التوحيد والسنة في كل زمان ومكان يهددون بهذا ﴿ **لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ إما بالضرب أو بالطرد أو غير ذلك ، فهذه سنة الأنبياء ومن بعدهم من العلماء والدعاة إلى الله جل وعلا.

﴿**قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ** ﴾ يعني ما أصابكم من الشر والبلاء بسبب أعمالكم ، وبسبب كفركم ، ﴿**أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ**﴾ يعني لأننا ذكرناكم وأمرناكم بالتوحيد قابلتمونا بهذا الكلام؟! وهذه جملة شرطية جوابها أئن ذكرتم تطيرتم ، فجوابها محذوف وهو : (تطيرتم) فالمحذوف جواب الشرط ، ﴿**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾ (**بل**) : تفيد الإضراب ، والإضراب على نوعين ، إضراب إبطالي ، تبطل الكلام السابق أو إضراب انتقال ، تنتقل من كلام إلى كلام ، كقولك : (لم يأت إلا زيد بل عمرو) ويكون في النفي والإثبات على تفصيل ، والمقصود هنا الإضراب الإبطالي ، تبطل ما قالوه وما فسروه ، والإسراف هو مجاوزة الحد .

وفي الآيتين أن التطير موجود من قديم في الأمم السابقة وأن التطير من أعمال الجاهلية ، فهو موجود من أيام الفراعنة والمشركين ، وأنه من أعمال الجاهلية ومن أعمال أهل الشرك الذين ذمهم الله جل وعلا ومقتهم وجاءت شريعتنا العظيمة بالنهي عنه لما فيه من سوء ظن بالله جل وعلا وترك التوكل عليه ، وفيه اعتقاد النفع والضر فيما لم يجعل الله جل وعلا فيه نفعا ولا ضرا لا شرعا ولا قدرا .

الدليل الثالث :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ). أَخْرَجَاهُ. زَادَ مُسْلِمٌ: (وَلَا نَوْءَ وَلَا غُوْلَ) (١) .

ولا هامّة أو ولا هامَة ـ بفتح الميم وتشديدها ـ والأكثرون على التخفيف .

قوله : «لا عدوى» مأخوذ من الإعداء ومعناه انتقال المرض من المريض للصحيح بنفسه على ما كان يعتقده أهل الجاهلية ، وهذا هو تفسير الإمام البيهقي وارتضاه ابن القيم وغيره ، فالمقصود هنا نفي العدوى على ما كان يعتقده أهل الجاهلية من أنه لابد أن يعدي المريض الصحيح إذا خالطه ، ثم جاء الإسلام فنفى هذا ، وهو أيضا منفي في الواقع فترى أن الطبيب يدخل يعالج المريض ومعه الممرض في المستشفيات التي فيها المرضى ، ولم نسمع أن كل من في هذه المستشفى انتقل إليهم المرض حتى لو كان من الأمراض الخطيرة كالسرطانات ونحو ذلك ، فبطل بهذا ما كان يعتقده أهل الجاهلية من أنه لا بد من انتقال هذه الأمراض .

لذلك أحد الأعراب لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يذكر هذا الحديث قال : **يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا بَالُ الإِبِلِ، تَكُونُ فِي الرَّمْلِ** ـ يعني في الصحراء ـ **كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ** ـ يعني تكون مثل الظبي في النشاط والقوة والجري ـ **فَيُخَالِطُهَا البَعِيرُ الأَجْرَبُ فَيُجْرِبُهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ»**(٢) يعني من الذي ابتلى الأول بالمرض؟ هو الله جل وعلا .

فدل هذا على أن انتقال المرض قد يحصل بالمخالطة وقد لا يحصل ، لذلك الشريعة جاءت بإغلاق هذا الباب وجاءت بأمر الإنسان أن يبتعد عن أسباب البلاء ، فقال صلى الله عليه وسلم **«لا يورد ممرض على مصح»** (٣) يعني من كان له إبل مريضة لا يأتي عليه من كان له إبل صحيحة ، لأن هذا من أسباب انتقال المرض وقد يحصل انتقال المرض وقد لا يحصل ، وهذا من باب اتقاء أسباب الشر.

وكما جاء في الحديث :(اذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها) (٤) ، وقوله : « **وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ**

---

١) رواه البُخَارِيُّ في صحيحه برقم (٥٧٥٧)، ومُسْلِمٌ برقم (٢٢٢٠).

٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٧٧٠) .

٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٧٧١) ، ومسلم في صحيحه برقم (٢٢٢١) .

٤) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٣٩٦) .

كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ»[1] والمجذوم : المصاب بالجذام ، هذا من الأسباب ، لكن قد يكون الإنسان عنده من اليقين وقوة التوكل على الله جل وعلا ما يمكنه أن يخالط أصحاب البلاء ويعرف أنه لن يصيبه إلا ما قدر له ، وقد ورد في حديث لكنه ضعيف **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِ مَجْذُومٍ فَوَضَعَهَا مَعَهُ فِي الْقَصْعَةِ، وَقَالَ: «كُلْ ثِقَةً بِاللَّهِ وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ»** [2]. ومن ذلك ما جاء عن خالد بن الوليد أنه قال : **" لَقَدِ انْدَقَّتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَلَمْ يَبْقَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ، وَأُتِيَ بِالسُّمِّ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: السُّمُّ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَشَرِبَهُ "**[3].

فالشارع أمر باتقاء أسباب الشر وأسباب البلاء حتى إذا حصل للإنسان فتنة أو بلاء لا يقول هذا كان بسبب الشيء الفلاني ، لو لم أخالط هذا المريض ما حصل لي هذا المرض ، وفي بعض روايات الحديث أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: « **لَا عَدْوَى، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ، خَلَقَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ، فَكَتَبَ حَيَاتَهَا، وَمُصِيبَاتِهَا، وَرِزْقَهَا»**[4] فالإنسان إذا عرف هذا فإنه يطمئن قلبه ويتوكل على الله جل وعلا ويأخذ بالأسباب ولا يهمه ما يحصل حوله من الأشياء الموهومة أو المتخيلة أو المظنونة .

وحاصل ذلك أن الأحاديث التي وردت في نفي العدوى حملها المحققون من أهل العلم على ما كان يعتقده أهل الجاهلية من أن المرض لا بد وأن ينتقل من المريض إلى الصحيح لزاما ، فنفى هذا النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر أن المرض لا ينتقل إلا إذا كان الرب جل وعلا مقدرا هذا الانتقال ، وإلا فقد يخالط السليم المريض مخالطة طويلة ولا يحصل له هذا الانتقال ، وقد يبتلى الإنسان بهذا المرض بدون أي مخالطة ، وهذا موجود في دنيا الناس ، فكم من إنسان صحيح معافى ليس به بأس تفاجأ أنه ابتلي بعاهة أو بمرض دون أي مقدمات ، وأحاديث الأمر باتقاء المرض أو المريض تحمل على أن الشرع أمر بأخذ أسباب النجاة والبعد عن أسباب البلاء، وبعد ذلك قد يحصل هذا الابتلاء وقد لا يحصل .

قوله : «**ولا طيرة**» وهي الشاهد في الترجمة ،وتفسر بأحد تفسيرين :

---

[1] رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٧٠٧) .
[2] رواه أبو داود في سننه برقم (٣٩٢٥) .
[3] رواه أحمد في فضائل الصحابة برقم (١٤٨١) .
[4] رواه أحمد في المسند برقم (٤١٩٨)

التفسير الأول: أن هذا نهي لنا عن التطير، بأسلوب النفي، والنهي إذا ورد بأسلوب النفي كان أبلغ. يعني لا تتطيروا ولا تتشاءموا بأي شيء، لا تتشاءموا بالأيام ولا بالشهور ولا بالأشخاص ولا بالأزمان ولا بالأماكن.

التفسير الثاني : لا طيرة نفي لحقيقة الطيرة ، يعني هذه الطيرة التي يتطير بها الناس وهذا التشاؤم ليس له حقيقة في الواقع، وهي اتخاذ سبب لم يجعله الشارع سببا ولم يقدره الرب جل وعلا سببا في الحياة ، فلا طيرة يعني نفي ما كان ومازال الناس يعتقدونه من التعلق بأيام وشهور وطيور أو حظ معين أو برج معين ويرتبون على هذا السعادة والنحس ؛ فهذا لا حقيقة له ، وهو سبب موهوم متوهم ؛ لذلك قال الشاعر:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله فاعل

الطوارق بالحصى: الذي يطرق بالحصى ويخط بالرمل ويرمي الحصى على الأرض ويدعي معرفة الغيبيات .

ولا زاجرات الطير ما الله فاعل: فلا الطير يعرف القدر ولا الذي يخدع الناس وينظر في الفنجان ويخط في الأرض أو يطرق الأرض ، فكلاهما لا يدري ما الله فاعل به . لذلك معاوية بن الحكم السلمي لما جاء للنبي صلى الله عليه وسلم وقال له : إن منا أناسا يتطيرون ، قال: **«ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ، فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ»** (١) لأنه ليس له حقيقة.

وقَالَ عِكْرِمَةُ : كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ وَعِنْدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَمَرَّ غُرَابٌ يَصِيحُ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: خَيْرٌ خَيْرٌ! فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا خَيْرَ وَلَا شَرَّ(٢). فلا تدخل للطير في الخير أو في الشر، إنما هو خلق من خلق الله يسبح الله جل وعلا ليس له دخل في الخير ولا في الشر.

وطاووس أيضا تلميذ ابن عباس خرج مع صاحب له في سفر ، فصاح غراب ، فقال الرجل خير ، فقال طاووس: وأي خير في هذا ، لا تصحبني .

لذلك جاء الحديث الذي في ابن حبان وغيره : **{لَا طِيَرَةَ، وَالطِّيَرَةُ عَلَى مَنْ تَطَيَّرَ}**(٣) .

مسألة :

في الصحيحين عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول**" إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي الفَرَسِ، وَالمَرْأَةِ، وَالدَّارِ "(١)** وفي رواية

---

١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٥٣٧) .
٢) رواه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم برقم (٩٣٧) .
٣) رواه ابن حبان في الإحسان برقم (٦١٢٣) .

«إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ، وَالمَرْأَةِ، وَالفَرَسِ»[٢] جمع أهل العلم بين هذا الحديث وبين أحاديث نفي التطير واجتهدوا في ذلك بعدة اجتهادات ، فمنهم من قال : الشؤم في ثلاثة فسروه بالرواية الأخرى **«إن كان الشؤم في شيء ففي ثلاثة»** يعني هذا مشروط ، فإن كان في شيء ففي ثلاثة : في المرأة والدابة والدار، قالوا المرأة إذا كانت لا تلد أوسليطة اللسان أولا تطيع زوجها فهذا شؤمها وهذا السوء الذي فيها ، والدابة : إذا كانت صعبة القيادة ، أو ثمنها غال ولا فائدة منها ، أو الآن في هذا العصر تركب سيارة كل ما تمشي تحتاج إلى إصلاح ، يعني لا تكاد تمشي بها إلا وفيها بلية ، والدار: قالوا شؤم الدار يتعلق بضيقها وعدم وجود المرافق فيها ، قد يكون عدد الأولاد كبيرا والدار صغيرة فيشعر دائما بأنه في ضيق وأن هذه الدار محل للمشاكل المستمرة .هذا أحد أوجه التفاسير لهذا الحديث ، الشؤم في ثلاثة، وبعض أهل العلم كابن قتيبة يرى أن هذه الثلاثة مستثناة من النهي عن التطير أو نفي التطير، مستثناة بنص الحديث، يعني يثبت أن فيها شؤما ، والإمام مالك كأنه يميل لهذا ولا يتأول ذلك .

ابن القيم رحمه الله له قول مناسب خلاصته : إن الله جل وعلا خلق أعيانا مشؤومة كما خلق أعيانا مباركة ، كما أن الله جل وعلا يرزق الوالدين ابنا مباركا يريان الخير والبركة في وجهه وفي عمله ، ويرزق والدين آخرين ابنا مشؤوما عليهما شريرا يريان الشر في وجهه في مدخله ومخرجه ، فإن هذا شيء معلوم بالفطرة ، هناك أعيان فيها شر مخلوقة هكذا ، كما أن الله جل وعلا خلق أعيانا فيها خير، المسك مثلا والطيب والعود والعطر والريحان فيها خير لمن أخذها ولمن قاربها ولمن باعها ، كما أن أضداد هذه الأشياء فيها شر؛ من رائحة خبيثة ، كالخنزير والروائح المنتنة والجيف ورائحة الدماء المتغيرة كالحيض والنفاس والغائط والأبوال ، هذه كلها أشياء خلقت فيها روائح كريهة .

قوله : **«ولا هامَة»** أو **«ولا هامَّة»** بتخفيف الميم أو تشديدها ، وتطلق على أحد شيئين: الأول: أن المقصود بها البومة التي كان يعتقد أهل الجاهلية أنها إذا وقفت على جدار بيت أو على سطح بيت فإن هذا البيت سيبتلى بموت واحد فيه أو يبتلى بشر، فنفى الإسلام هذا الاعتقاد لأن البومة لا دخل لها في القضاء والقدر ولا تدري شيئا عن أصحاب هذا البيت ولا ما سيحصل لهم.

---

[١] رواه البخاري في صحيحه برقم (٢٨٥٨) ، ومسلم في صحيحه برقم (٢٢٢٥) .
[٢] رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٠٩٤) .

التفسير الثاني للهامة هي شيء يخرج من روح الميت إذا قتل فتخرج روحه وتطير عند رأسه وتنادي اسقوني اسقوني ، يعني خذوا الثأر ممن قتلني ، فالعرب كانت تعتقد في الجاهلية أنه إذا قتل إنسان يعني قتل ظلما فإنه يخرج من روحه شيء يسمونه الهامة ينادي بالثأر لهذا الميت ومنه ما يؤثر من قول الشاعر:

يَا عَمْرُوإِلَّا تَدَعْ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبْكَ حَتى تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقُونِي

يعني أضربك حتى أقتلك .

فكانوا يتخيلون أن الإنسان إذا قتل مظلوما بدون سبب فإن الهامة تخرج من رأسه وروحه وتنادي بالثأر فنفى الإسلام هذا وذكر أنه لا حقيقة لهذه المعتقدات الباطلة .

قوله : «ولا صفر» بوب البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه قال: باب «ولا صفر» وهو داء يأخذ البطن ، فهو يرى أن تفسير صفر هنا داء مثل الجرب ، يأخذ البطن فإذا دخل في بطن البعير يسبب لها الجرب وكذلك الإنسان .

وقيل : إن هذا نهي عن التشاؤم بشهر صفر كما كان أهل الجاهلية يتشاءمون بشهر صفر، فكان أهل الجاهلية يتشاءمون بشهور معينة ، منها شهر شوال وصفر، فنفى هذا الإسلام ، وأن شهر صفر ما هو إلا أيام وليالي وأزمنة ، فالزمان محل للعمل، تعمل فيه خير فتجد خيرا ، وتعمل فيه شرا فتجد شرا .

وهناك قول ثالث في تفسير شهر صفر: هو ما كان يفعله أهل الجاهلية من النسيء، وهو تأخير شهر محرم وهو أول شهر في السنة ، فكانوا يعرفون أنه لا يجوز القتال في شهر المحرم فيؤخرون المحرم مكان صفر ويقدمون صفرا مكان المحرم من أجل أن يقاتلوا فيه ، فهم بفعلهم هذا يستهزئون بالله جل وعلا **﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾** يعني كفر وزيادة ، فهذه ثلاثة تفاسير في قوله **«ولا صفر»** على ما كانوا يعتقدون أنه يسبب الجرب وإما أن يكون المقصود به التشاؤم وإما أن يكون المقصود به النسيء والتأخير .

قوله : زَادَ مُسْلِمٌ: (وَلَا نَوْءَ وَلَا غُوْلَ) : النوء هو الكوكب أو طلوع كوكب في مكان مقابل سقوط كوكب في مكان آخر، يعني إذا غرب كوكب وطلع كوكب في الجهة الأخرى يقولون هذا معناه أنه سيولد إنسان عظيم مثلا أو سينزل المطر ولا بد أو سيحصل كذا وكذا من الحوادث ، فيربطون الحوادث الأرضية بتحرك الكواكب في السماء ، وهذا سيأتينا في باب **الاستسقاء**

بالأنواء ، وباب ما جاء في التنجيم، فهذا على ما كان يعتقده أهل الجاهلية فنفى هذا الإسلام ، وأنه لا دخل للكوكب في تصرفات الناس وإنما تصرفات الناس تجري بقضاء وقدر.

قوله : « وَلَا غُوْلَ » وغول مفرد ، وجمعها غيلان أو أغوال ، والمقصود بقوله **(لا غول)** أن أهل الجاهلية كانوا يعتقدون أن هناك في الصحراء غيلانا تتغول وتخوف المارة وتتلون لهم في الصحراء وتخيفهم بألوان مختلفة ، فإذا كان المقصود الشياطين فإن الشياطين موجودة ويكون ما نفته الشريعة أو ما نفاه الإسلام هو ما يزعمه العرب من تصرفها في نفسها ، أو أنها لا تستطيع أن تضل أحدا إذا ذكر الله جل وعلا ، فلو خرج الإنسان في صحراء أو في بر أو في مكان على الشواطئ وخاف من الجن ، وذكر الله جل وعلا فإن الشيطان يفر بذكر الله سبحانه وتعالى ، كما أنه يولي مدبرا عندما يسمع الأذان وله ضراط ـ أي صوت ـ وهذا فيه ربط المسلم بذكر الله جل وعلا دائما ، لذلك لو جئت تقرأ في كتب الأذكار تجد أن الذكر فيها يبدأ من أول لحظة في اليوم إلى آخره ، من وقت القيام من النوم إلى الذهاب إلى الفراش ، فكل خطوة في الحياة وكل حركة فيها ذكر معين ، فعند الأكل ذكر وعند الشراب ذكر وعند وطء الإنسان أهله ذكر وعند ركوبه الدابة ذكر وعند نزوله لمكان معين ذكر، وقس على ذلك ، وهذه نعمة من الله سبحانه وتعالى أن الإنسان الذي يعتصم بالله جل وعلا ودائما ذكر الله جل وعلا على لسانه فإن الشياطين تنفر منه وتفر منه كما في فرار الشيطان من الأذان وكما في حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال **(إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ)**[1] .

فهذان تفسيران : إما المقصود الغول الذي كانت تعتقده أهل الجاهلية فيتغول في الصحاري ويتلون ، فهذا لا حقيقة لها ، أو يكون بأن لا غول أي لا شيطان يبقى مع ذكر الله سبحانه وتعالى ، فذكر الله حصن حصين ، عندما يكون عندك عدو وتهرب من هذا العدو وتدخل الحصن وتغلق على نفسك من داخل الحصن بالحديد لا يستطيع العدو أن يخترق هذا الحديد ، فكذلك ذكر الله جل وعلا حصن حصين ، إذا أوى الإنسان إليه يتحصن من جميع الشرور.

الدليل الرابع :

---

[1] رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٢٧٥) .

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ). قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: (الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ). (١)

قوله : «**ولهما**» يعني الشيخين البخاري ومسلم .

قوله : «**عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل ، قالوا: وما الفأل؟»** » الفأل بالهمزة أو بتركها كما تقول النساء والنسا ، و صحراء وصحرا ، الفأل والفال .

قوله :{ قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة» } وفي الحديث الآخر «**الكلمة الطيبة يسمعها الرجل** » إذا هذا تفسير نصي ، فالمقصود بالفأل الذي يعجب النبي صلى الله عليه وسلم ويعجب المسلم الكلمة الطيبة ، ورد هذا في أحاديث بعضها صحيح وبعضها حسن من ذلك ما جاء في سنن الترمذي" **أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعْجِبُهُ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَنْ يَسْمَعَ: يَا رَاشِدُ، يَا نَجِيحُ "(٢)** يعني إذا خرج لحاجته لغزو أو لحج أو لعمرة أو لسفر ، فإذا سمع كلمة طيبة ينشط منها ، وكذلك الإنسان عندما يسمع هذه الكلمة يحصل له نوع من الانبساط والسرور، وابن القيم رحمة الله عليه يقول : لأن هذا يوافق الفطرة وطبيعة النفس البشرية وأنها تميل إلى ما يوافقها فتحب ما تستبشر به وتسر به وتفرح به ، فالإنسان لو أتيت له بأمر فيه بشارة يفرح به ويسره ، من أجل ذلك رخصت الشريعة في الفأل لما فيه من تنشيط النفس على العمل، وإلا لوجدت في الحقيقة أنه ليس هناك سبب تمشي عليه أو تأخذ به ، لذلك هذا الفأل إذا ترتب عليه أنك إذا لم تسمعه رجعت وإلا إذا سمعته مشيت أصبح من التطير والتشاءم المنهي عنه ، لكن متى يكون لا بأس به ؟

الجواب : إذا كان الإنسان يمضي في حاجته ويتخذ الأسباب ، وهو في أثناء سيره سمع هذه الكلمات التي تنشط النفس فيزداد بها نشاطا ويزداد بها إقداما ، فإذا لم يسمعها فإنه لا يزال يمشي في طريقه ويأخذ بأسباب السلامة وأسباب النجاح إذا كان ذاهبا لتجارة أو سفر أوغير ذلك .

فابن القيم رحمه الله تعالى يقول : إن الفأل يوافق مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها ، والله جل وعلا جعل في الغرائز الإعجاب بسماع الاسم الحسن ، لذلك جاء في سنن أبي داود « **وَكَانَ إِذَا بَعَثَ**

---

١) رواه البُخَارِيُّ في صحيحه برقم (٥٧٧٦)، ومُسْلِمٌ برقم (٢٢٢٤).

٢) رواه الترمذي في سننه برقم (١٦١٦) .

رَجُلًا سَأَلَ عَنْ اسْمِهِ، فَإِنْ كَانَ حَسَنَ الِاسْمِ رُئِيَ الْبِشْرُ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ»(١) وكذلك في صلح الحديبية لما حصلت المحنة والمشركون منعوا الصحابة من دخول مكة أرسل المشركون سهيل بن عمرو فلما رآه قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»** (٢) الذي هو قدوم سهيل بن عمرو عليهم .

الدليل الخامس :

وَلِأَبِي دَاوُدَ ــ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ ــ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: (ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (أَحْسَنُهَا الفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ). (٣)

هذا الحديث رواه أبو داود . والمؤلف قال بسند صحيح وكأنه يتابع فيه النووي، والنووي صححه في موضعين : في رياض الصالحين وفي شرح مسلم ، وهذا الحديث الراجح أنه ضعيف ، وفيه علل :

العلة الأولى : أن هذا ليس عن عقبة بن عامر وإنما رواه عن عقبة بن عامر ابن السني وصوابه عن عروة بن عامر، وعروة بن عامر مختلف في صحبته ، والأكثرون على نفيها ، والمزي يقول إن صحبته لا تصح ، يعني ليس له صحبة للنبي صلى الله عليه وسلم ، فمعناه أن هناك سقطا في إسناده ، فيكون هذا الحديث من قبيل المرسل ، والحافظ ابن حجر يقول : رجاله ثقات ، إذا قال الإمام الكبير رجال ثقات ولم يقل صحيح قد يكون رجاله ثقات وهناك انقطاع ، أوإرسال أو إعضال ونحو ذلك ، لذلك الإمام الحافظ لا يعدل عن قوله صحيح إلى قوله رجاله ثقات إلا لعلة .

والعلة الثانية في هذا الحديث : أنه من رواية حبيب بن أبي ثابت عن عروة ، وحبيب ابن أبي ثابت كثير الإرسال والتدليس ولم يصرح هنا بالسماع من عروة بن عامر. فالراجح فيه الضعف لكن المؤلف لعله تابع النووي في الحكم عليه بالصحة ولعله رأى أن الراجح إثبات صحبة عروة بن عامر وأكثر العلماء لا يثبتونها .

---

١) رواه أحمد في المسند برقم (٢٢٩٤٦) .

٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٢٧٣١) .

٣) رواه أَبُو دَاوُدَ في سننه برقم (٣٩١٩) ، وَالحَدِيْثُ هُوَ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ وَلَيْسَ عَنْ عُقْبَةَ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ السُّنِّيِّ (٢٥٥/ ١) إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: (عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيِّ) بَدَلَ (عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ)

الشاهد في الحديث قوله : «**أحسنها الفأل**» يعني الطيرة ، «**ولا ترد مسلما**» وإن ردت المسلم عما عزم عليه فذلك هو التطير المنهي عنه ، ثم ذكر دعاء ، أن يقول الإنسان «**اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك**» **ولا حول** : يعني لا تحول ولا انتقال من حال إلى حال إلا بالله العلي العظيم .

الدليل السادس :

وَعن ابْنِ مَسْعُوْدٍ مَرْفُوْعًا (الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ، وَمَا مِنَّا إِلَّا؛ وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ ، وَجُعِلَ آخِرُهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ (١).

هذا الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا ، وفي بعض النسخ {وله} ، يعني ولأبي داود «**عن ابن مسعود مرفوعا: الطيرة شرك**» فتكون من الشرك الأصغر إذا اعتقد أنها سبب لوجود ضرر أو لدفع ضرر أو لغير ذلك ، أما إذا اعتقد أنها بنفسها ـ أي الطيور ونحوها ـ تنفع وتضر بنفسها وتأتي بالسعادة والتعاسة أو تأتي بالخير أو بالشر فهذا شرك أكبر، لكن أكثر الناس لا يعتقدون هذا ، فيعتقدونها سببا ، وضع هذا السبب لبيان السعادة أو التعاسة ، فلذلك قالوا بأنها شرك أصغر .

قوله : «الطيرة شرك الطيرة شرك وما منا إلا» يعني ما منا إلا قد يقع في نفسه شيء من هذا «**ولكن الله يذهبه بالتوكل**» روى الترمذي هذا الحديث عن البخاري ، فقال : (سمعت محمد بن إسماعيل يقول : كان سليمان بن حرب يقول في هذا **(وما منا)** هذا عندي من قول ابن مسعود) ، يعني فيه إدراجا ، لأنه يقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم يمتنع أن يأتيه هذا الخاطر يعني هذا التطير، يمتنع في حقه ذلك ، هذا ما يراه الإمام البخاري بناء على ترجيح سليمان بن حرب ، وبعض أهل العلم يقول الحديث على عمومه ليس فيه إدراج .

قوله : «ولكن الله يذهبه بالتوكل» يعني هذا علاج التطير، إذا وقع الإنسان في التطير فإن الله جل وعلا يذهبه بالتوكل ، فيمضي لعمله أو لسفره ولا يلتفت لهذا الذي وقع في قلبه ولا في رأسه ، فهذا التوكل : هو الثقة بالله والاعتماد عليه في جلب المنافع ودفع المضار مع الأخذ بالأسباب ، فإذا

---

(١) رواه أَبُو دَاوُدَ في سننه برقم (٣٩١٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ برقم(١٥١٤).

مضى الإنسان لعمله ولم يلتفت للتطير فإن الله جل وعلا يذهب عنه هذا الذي وقع في قلبه ، وبالتدريج إذا تعود على هذا فإنه لا يحصل له هذا الالتفات .
وهذا الحديث صححه الترمذي والطحاوي وابن حبان والحاكم والذهبي والعراقي .

الدليل السابع :

وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَمْرٍو (مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ). قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: (أَنْ تَقُوْلَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ). (١)

قوله : «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك» يعني رجلا مسافرا وتشاءم بوجه أحد أو تشاءم بغراب فرجع عن سفره ، فهذا قد أشرك ، لأنه اتخذ سببا لم يجعله الله جل وعلا سببا في دفع ضر ولا في جلب نفع .

قوله : (قالوا : وما كفارة ذلك ؟ قال: أن تقول: «اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك» وهذا يدل على أن الطيرة لا تضر من كرهها ولا تضر من دفعها.

وهذا الحديث وإن كان فيه ابن لهيعة لكنه من رواية عبد الله بن وهب ، والعبادلة الثلاثة إذا رووا عن ابن لهيعة ـ القاضي المصري الذي ابتلي باحتراق كتبه فحصل له اختلاط بعد ضياع كتبه ـ والعبادلة هم عبد الله بن وهب وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن يزيد المقري ـ إذا رووا عن ابن لهيعة فإن روايتهم مستقيمة لأنهم رووا عنه قبل احتراق كتبه ، فهذا الحديث من هذا الباب ، لذلك هو حديث بين الصحيح والحسن ، وقد صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

وورد في مسند البزار بإسناد صحيح من حديث رويفع بن ثابت مرفوعا : **«مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ شَيْءٍ فَقَدْ قَارَفَ الشِّرْكَ»** (٢) يعني واقع الشرك.

الدليل الثامن :

وَلَهُ مِنْ حَدِيْثِ الفَضْلِ بْنِ العَبَّاسِ رضي الله عنه (إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ). (٣)

وهو **من حديث الفضل بن عباس: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك»»** وهذه القاعدة ذكرناها ، وإن كان هذا الحديث أيضا فيه ضعف لكن المعنى صحيح ،

---

١) رواه أَحْمَدُ في المسند برقم (٧٠٤٥) .
٢) رواه البزار في مسنده برقم (٢٣١٦) .
٣) رواه أَحْمَدُ في المسند برقم (١٨٢٤) .

فالإنسان إذا تعلق بشيء من الأزمنة أوالأمكنة أوالمرئيات أو المسموعات وكانت سببا في أن يمضي أو أن يرجع فهذا هو التطير الذي ورد فيه الحديث «**الطيرة شرك**» وهذا الحديث : («**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**» فيه ضعف لأن الإمام أحمد رواه من طريق محمد بن عبد الله بن علاثة ، وابن علاثة مختلف فيه ، فالبخاري يقول فيه نظر، والدارقطني يقول متروك ، وابن معين يوثقه ، وقال الحافظ ابن حجر : محمد ابن عبد الله بن علاثة بضم المهملة وتخفيف اللام ثم مثلثة العقيلي بالتصغير الجزري أبو اليسير بفتح التحتانية وكسر المهملة الحراني القاضي [يقال له: قاضي الجن] صدوق يخطىء من السابعة مات سنة ثمان وستين. يعني بعد المائة.

(وَيُقَالُ لَهُ : قَاضِي الجِنّ. قِيْلَ: حَكَمَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ الإِنْسِ فِي مَاءِ بِئْرٍ، فَحَكَمَ لِلْجِنّ أَنْ يَسْتَقُوا بِاللَّيْلِ ، فَكَانَ مَنِ اسْتَقَى بَعْدَ المَغْرِبِ ، جَاءهُ الرَّجْمُ.) ذكره الذهبي في السير [1]

وأيضا فيه علة أخرى وهو مسلمة الجهني ، ومسلمة الجهني فيه جهالة .

العلة الثالثة أن مسلمة الجهني لم يدرك الفضل بن عباس ، فهو منقطع من هذه الحيثية ، ففيه ثلاث علل ، لكن هل هو يؤثر في الباب؟

الجواب : لا يؤثر في الاستدلال في الباب لأن غيره يغني عنه والمعنى صحيح ، لذلك ضعفه الشيخ أحمد شاكر وضعفه الأرناؤوط ولكن المناوي حسنه في فتح القدير .

قوله : فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على قوله :﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ﴾ مع قوله:﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾» ﴿**طائرهم عند الله**﴾ دلت على أن هذا من القضاء والقدر، هذا كما قال ابن عباس مقدر ومقضي «**مع قوله:﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾**» يعني ما وقع عليكم من الابتلاء والفتنة بسبب شرككم وبسبب تكذيبكم .

الثانية: نفي العدوى .

يعني على ما كان يعتقده أهل الجاهلية بأن المرض ينتقل ولا بد بنفسه.

الثالثة: نفي الطيرة. سبق الكلام عليها .

الرابعة: نفي الهامة. سبق .

الخامسة: نفي الصفر . سبق.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك .

---

[1]) انظر سير أعلام النبلاء ٧- ٣٠٩ .

لأن الفأل فيه موافقة لطبيعة النفس البشرية التي ترتاح لسماع ما يلائمها وتستلذ به. **السابعة: تفسير الفأل.** سبق الكلام عليها .

الثامنة: أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر، بل يذهبه الله بالتوكل .

إذا الإنسان حصل في نفسه تطير ورده وجاهد نفسه ومضى فإنه لا يضر، بل يذهبه الله بالتوكل لأن التوكل ثقة بالله جل وعلا واعتماد عليه مع الأخذ بالأسباب . **التاسعة: ذكر ما يقول من وجده .**

وقد صح الحديث الذي ذكرناه «**اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك**» والحديث الآخر الضعيف «**اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت...**» إلى آخره .

العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك. سبق الكلام عليها .

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة .

التي هي تمضي الإنسان أو ترد الإنسان ، فالطيرة ما أمضاك أو ردك .

والله أعلم .